# ليلة في السجن ؟

د. حسين مؤنس

واستمر هذا المولد إلى ما بعد منتصف الليل . خاصت الدنيا وانقلب السجن مهرجانا عامرا بالمرح والسلية . ثم صاح شاويش : جاء الخبز ! وبالفعل دخلت عربة يجرها رجلان ملأى بالخبز « البائت » المتعفن . وتقدم مصطفى كامل – ولا أعرف له اسما إلا هذا – ونظر داخل العربة ثم قال بكل ترفع وشمم للرجلين اللذين يجرانها :

– هل هذا خبز يقدم للمجاهدين في سبيل الوطن ؟

وبكل تحد قال الرجل :

– هذا هو الذي عندنا للساجين أمثالكم . هذه بقية أكل جناب الكونستبلات وسعادة الضباط وحضرات الأوباشية والشاويشية . ماذا تريدون أيها الضباع ؟ بسكويت أو عيش فينو مثل الباشوات ؟ . .

قال مصطفى كامل :

– احترس يا ولد . خذ عربتك واخرج من هنا . هذا طعام قبران لا طعام آدميين . اذهب بعربتك . .

وأفاق مجاهد من نومه وقال :

– وفيما أيه يا حضرة الأستاذ ؟ نحن جوعانين ونريد أن نأكل أي شيء . .

فقال مصطفى كامل

– ثم تقول إنك ابن صاحب أكبر مخبز في هذا الحي ! . . احترم نفسك يا أخ . .

وقلت مجاهد :

– عيب يا مجاهد . . هذا خبز سيىء جدا فعلا . .

ومضى رجال الخبز وظلنا هناك من الجوع . ورعاد مجاهد إلى النوم . نحوي لا أدري كيف . . ونام . وتعالى غطيطه . واتخذت ظهيره مسندا وحاولت أن أغفو .

وكان الأولاد قد تعبوا من الكلام والضحك والمونولوجات . فبدأ السكون يخيم على ذلك الجمع الحاشد . ونظر أوباشي إلى الجمع وقال :

– هاهم أولاء قد اخمدوا . . اذهب أنت فاسرح قليلا يا سعادة الكونستابل . . وذهب مصطفى كامل . وكان يجلس إلى جواري . هب واقفا على قدميه وقال :

– لا أحد يذهب من هنا . هذه نوبة الكونستابل وتوبتك . ولا أحد منكم يتنقل من هنا وإلا حطمنا المحافظة على رءوسكم .

وكأنما خف مصطفى كامل على نفس الكونستابل حلوف . فاقترب منه وقال بصوت خفيض :

– ما حكايتك أيها الشاب ؟ . . إن وجهك صغير ولكن ملابسك عجوز . أنت رجل رمى في كل شيء . من تكون ؟

– أنا لا شيء . . أنا خادم بصر .

– إذن فلماذا تلبس هذا الزي المضحك : بدلة سوداء وصديري مخطط وطربوش طويله متر وحذاء أسود لامع مغطى بالخبز . وعصا في يدك يبدو أنك ورثتها عن جدك ؟ . .

– هذه ملابس الوطنيين الأحرار . هذه ملابس الحزب الوطني . وأنا حزب وطني .

– ومالك إذن وغلاء الوفديين .

– إنهم ليسوا وفديين . انهم وطنيون .

ولكنهم يتجرون للمحاس باشا .

– بعضهم فقط . . أما الباقون فهدفهم مصر وحدها . . هذه أمور أنت لا تفهمها لأنك من جنود الاستعمار . .

فقال الكونستابل حلوف :

– من قال لك إني من جنود الاستعمار ؟ أنا من مالطة . وهي مستعمرة بريطانية مثل مصر .

– مصر ليست مستعمرة ولن تكون مستعمرة .

– حماية إذن ؟

ولا حماية . مصر حرة مستقلة . ولكنكم تسلطون عليها ملكا تركيا خاصا وتحكمونها بواسطة مجموعة من الباشوات الأجانب عن مصر مثلك . .

– أنا لست أجنبيا عن مصر . أنا مالطي مولود في مصر . وهأنذا أتكلم العربية مثلك .

– إذن فلماذا تخدم الاستعمار . . ؟

– نحن في مالطة وطنيون مثلكم نطالب بالاستقلال ولكننا فقراء نريد أن نعيش . ووجودنا هنا رحمة لكم . ولو كان رئيس النوبة الميجر ديكسون لما سمح لكم بهذه العربدة . .

– نحن لا نعربد . نحن نجاهد . .

**وقطعت** هذا الحوار اللطيف غوغاء قادمة من بعيد . وظلت تقترب حتى وقفت على باب المحافظة – وأنا أراها – عربة كارو محملة بخبز تفوح رائحته الجميلة فتحيي النفوس وتوقظ النائمين . فهمت للحال أن هذا خبز الحاج أمين مجاهد . وهتف أحد الشاويشية :

– العيش المحترم وصل . . يا سلام يا جدعان . . هذا ليس خبزا . إنه بسكويت . .

وكعادته بهش مصطفى كامل وقال :

– هذا الخبز للمجاهدين فقط .

– وقال أحد الرجال الذين أتوا بهذا الخبز :

– هنا خبز للجميع من المحافظ إلى الشاويش . الحاج أمين أمر بأن تعمل العنابر كلها لكم وعددكم : عندنا ٣٠٠٠ رغيف . .

وفي لحظات كان الخبز قد توزع على الناس أجمعين . وكان خبزا ممتازا حقا صنع بحب ورغبة في العطاء . وكان أشد المقبلين عليه العساكر . وأخذ الكونستابل حلوف رغيفا ساخنا ومضى يأكل في جدوء إلى جانبي . ثم قال لي :

– حمارة . . إن بلدكم طيب . ولكن . .

– ولكن ماذا ؟

لكنكم لا تحسنون استخدامه . .

– الإنجليز ؟

– لا . . ليس الإنجليز فقط . بل أنتم أيضا . . الإنجليز لا يفسدون إلا ما يقبل الفساد .

– الملك . .

– طبعا . . ولكن ليس الملك وحده . بل شلة الباشوات من حوله . فهذا الرجل كان لا ينبغي أن يدرك أنه ملك على بلد مهم مثل هذا . . أتعرف أين هو الآن ؟ في الأقصر . . إنه يلعب الشطرنج مع أمير إنجليزي يسمى الدوق أوف كنوت . ومعهم المستر سمارت السكرتير الشرقي للسفارة . إن الذي يحكم مصر اليوم موظف إنجليزي من الفرجة العاشرة يسمى المستر سمارت . إنه أفاق وشرير . عملت في خدمته مدة سنة . هذا هو الذي يحكم مصر اليوم . رئيس الوزراء يستشيره في كل شيء . لو عرفت مقادير الهدايا التي يتلقاها هذا الرجل من أصحاب الحل والعقد . لقد أصبح موسرا جدا .

وبعد لحظة صمت :

– خبز جميل . . ما أعظم قمح مصر . . لقد عاشت روما قرونا على قمح بلادكم .

وفي هذه اللحظة استيقظ مجاهد . وصاح لأول ما فتح عينيه :

– ما تأكلون ولا توقظوني ؟ . .

– إنه خبز بيتكم . .

– وأين نصيبي ؟ . .

– ها هو ذا . . حجزت لك ثلاثة أرغفة . .

وفي لحظات كان قد غرق إلى أذنيه في الأكل . . وصاح صائح :

– أكملوا الخبز ولم تنتظروا الإدام . .

– أي إدام ؟ . .

– الحاج خميس البقال أرسل لكم عربة محملة بالجبن والزيتون والخلارة الطحينية ! .

وبدأت عملية التوزيع من جديد . قام العساكر بالمهمة . تحولوا من جنود إلى سفرجية . كانوا يعطون كل واحد ما اتفق : قطعة جبن أبيض أوروبي أو خلارة أو زيتونا . لابد أن الحاج خميس قد أفرغ مخازنه . ليكرم المجاهدين .

● ● ●

**وفي** أثناء تقدمه الذي أعقب عملية التوزيع . وقفت بباب المحافظة سيارة نزل منها رجل مهزوم جدا . ثم تقدم وقال للأوباشي الذي يرأس حرس المدخل :

– أنا إسماعيل حسن وكيل أعمال المرحوشي بك . .

– أهلا وسهلا . .

– عندكم هنا حسام الدين بن إبراهيم المرحوشي بك . لقد أصدر المحافظ أمرا بالإفراج عنه . ها هو ذا . . ونظر الأوباشي في الورقة نحو خمس دقائق في قراءتها . ثم قال . فعلا هي من سعادة المحافظ . . يا شاويش حسنين . . نادِ على حسام الدين إبراهيم المرحوشي . . فقال الرجل الأنيق المحترم :

– أنا أناديه لأنه يعرف صوتي . .

ودخل حتى صار على باب الفناء الذي احتشدنا فيه . ثم نادى بأعلى صوته :

– حسام الدين بك المرحوشي . .

وهنا التفت له مصطفى كامل وقال :

– وهنا لا يوجد بكوات يا حضرة . . هنا مجاهدون فقط . .

فاحمر الرجل قائلا :

– ولكن هذا ابن إبراهيم بك المرحوشي . .

– ولو . إنه مجرد طالب معنا في الخديوي إسماعيل . .

ولم يلبث حسام المرجوشي أن حضر وقال للرجل :

– أهلا يا إسماعيل . . تأخرتم على . . كدت أقلق هنا . .

– ولا مؤاخذة يا سعادة البك . . الباشا جاب لك إفراج من سعادة المحافظ . . اتفضل معي .

وتقدم مصطفى كامل ، ووقف مسلما كالسيف ، ووضع سبابته وإبهامه في جيب الصديري وقال :

– لن يخرج وحده . . إما أن يشملنا الإفراج جميعا أو نظل هنا جميعا . .

ثم قال يخاطب حسام المرجوشي :

– وأنت يا حسام . هل يرضيك أن تنزل إخوانك في السجن وتخرج بالوساطة ؟ . . بوساطة صنيعة من صنائع الإنجليز .

وبعد لحظة قال حسام :

– لا . . عندك حق . . أنا لن أخرج وحدي أبدا . . أنا مع إخواني . .

وهتف طالب :

– عفارم عليك . . يحيا مصر . .

وتردد في المعسكر كله هتاف : يحيا مصر . . يحيا مصر . . تموت وتحيا مصر ليسقط الإنجليز . .

وعادت المظاهرة إلى أعنف مما قامت . فقال الأورمباشي يخاطب وكيل المرجوشي :

– كده يا أخ . . جبت تكحلها فأعميتها . .

وقال حسام :

– أين هذا الأمر يا حضرة الأورمباشي ؟

– ها هو هذا فأخذه حسام ومزقه إربا . وقال لإسماعيل :

اسمع يا اسماعيل . أنا لن أخرج بوساطة . قل هذا لوالدي . وإذا كان يريد أن يتوسط فليتوسط لنا جميعا . وإلا فليرسل لنا بطاطين . .

فإن الدنيا هنا برد .

– حاضر يا سعادة البيك . مسافة الطريق وأعود إليك بالرد . ولم تنقض دقائق حتى سمعنا صيحة أخرى وشممنا رائحة شواء . ثم سمعنا صوتا جهوريا يقول :

– أنا الحاج عنتر الكباعي . . سمعت أن أولادنا هنا مسجونون وأن المحافظ الإنجليزي رفض أن يقدم لهم طعاما . فاشتغلت أنا ورجال وأنيا للمحافظة كلها بكباب وكفتة .

وقال الأورمباشي :

– وللشاويشة أيضا ؟ . .

– نعم للمحافظة كلها . إلا المحافظ والكونستابلات الإنجليز .

وقال مصطفى كامل :

– لا ياحاج عنتر . ليس كل الكونستابلات . معنا هنا كونستابل وطني يحب المصريين .

– مقبول فيه كونستابل وطني . .

– أيوه يا حاج . إنه ليس إنجليزيا . إنه من مالطة . وبلاده مستعمرة . . وقد وقف إلى جانبنا .

– طيب . وحضرتك . . ماذا تكون . .

– أنا مواطن مصري مجاهد في سبيل الوطن .

وقلت :

– إنه الزعيم هنا . .

فغضب وقال :

– لا زعيم إلا مصطفى كامل . . هنا كلنا إخوة وراء الزعيم الأكبر .

وقال طالب :

– ولكني وفدي . . أنا عضو اللجنة المركزية للطلبة الوفديين .

فقال مصطفى كامل بكل وزانة . .

– وفدي وسعدي هذه خارج السجن . أما في السجن فكلنا مواطنون مجاهدون وحزب وطني . ولنكن يدا واحدة ولا نختلف .

وقال الحاج عنتر :

– الأستاذ عنده حق . . تكونون يدا واحدة تأكلون كبابا . أما إذا اختلفتم وقلتم وفدي وحزب وطني وسعدي وعدلي فما فيش كباب .

وهتف طالب :

– كلنا حزب وطني . . يحيا الحزب الوطني .

وإكراما للكباب سكت عضو اللجنة المركزية للطلبة الوفديين .

وكالعادة ضحا مجاهد من نومه وقال :

– ماذا جرى لكم يا ناس ؟ تأكلون وتسوبني . .

لا يا مجاهد لم ننسك . . وهذا نصيبك احتفظت لك به . .

ونظر الحاج عنتر إلى مجاهد وقال :

– الله . . مجاهد ابن الحاج أمين مجاهد سيدنا وسيد الحارة كلها يا ألف ليلة بيضة ، يا ألف ليلة بيضة ! هات يا ولد وطلين هنا لأبينا مجاهد . .

**ومع** أن مجاهد كان قد أكل إلى الآن أرغفة ثلاثة وجبنا وحلاوة وزيتونا . . فإنه انقض على الكباب يلتهمه كأنه لم يأكل من أسابيع . .

وقال الكونستابل حلوف وهو يأكل :

– حاجة عظيمة يا حاج .. ف حياتى لم أر بلدا عظيما مثل بلدكم ! ..

البلد كلها ساهرة تحرس أولادها الساجين ف المحافظة ..

– دى مصر أم الدنيا ياحضرة .. مصيبتها للملك والانجليز . الله يخرب بيوتهم . يا سلام يا خواجة لو ماكنتش إنجليزى .

وقال مصطفى كامل :

– ألم أقل ياحاج إنه ليس إنجليزيا .

● ● ●

ثم هدأ الجو شيئا فشيئا . هذه الأطعمة التى ملأت البطون بعثت الخدر ف الأجساد والنعاس ف الجفون . فنام كل منا حيثما اتفق . استدفأت بمجاهد وضممت عل ليالى وتمت . حتى العساكر ناموا والكونستابل أيضا .

وانقضت ساعة أو نحوها . ثم سمعنا أصواتا . ففتحت عينى ونظرت إلى مدخل القناء . رأيت شاويشا يجرى ويقول :

– البطاطين وصلت .

وشيئا فشيئا استيقظ الجميع وبدأ اللغط . ودخل عدد من الرجال يحرسهم البوليس . كانوا يحملون أكداسا من البطاطين ويقولون :

– أرجوكم . كل واحد يقعد مكانه . الباشوات أرسلوا لكم ما يكفى من البطاطين .. واترى مصطفى كامل يقول :

– ليس فى البلد باشوات . ونحن لن نأخذ شيئا من خدم الملك والانجليز ..

خذوا بطاطينكم وعودوا من حيث أتيتم .

فقال أحد الرجال :

– لا مؤاخذة يا حضرة .. هذه البطاطين ليست من الباشوات . كلنا نعرف أن الباشوات لا يعطون شيئا . إنهم يأخذون فقط . هذا هم باشوات . ولكن هذه البطاطين من مثل آبائكم : الموجوش بك والحاج الراعى والحاج الشاويش وغيرهم . كل تجار الغورية والسكة الجديدة والأزهر تجمعوا وأرسلوا لكم بطاطين لكل المحافظة كلها .. وهؤلاء ناس وطنيون ولا يجوز أن ترد هديتهم .

وقال مصطفى كامل :

– إذا كان هذا هكذا فلا بأس .

والذى أدهشنى أن عملية التوزيع تمت بكل هدوء . لا فوضى ولا تزاحم ولا نزاع . كل منا تسلم بطانيته بما فى ذلك العسكر والأمباشية والكونستابلات . وخرج الرجال والتفوا ف بطانيات كالخرير . واستسلمنا للنوم ..

بعد قليل بدأت طلائع الفجر . ولكن جمعنا الخاشد كان قد أغرق ف النوم . وانقضت ساعة أو نحوها . ثم ألقت على رائحة جميلة رائحة قول مدمس . وسمعت حديثا بين أحد الشاويشية وامرأة . ثم قال الشاويش : تفضلى ياست تفضلى ..

وتفضلت الست . كانت امرأة بلدية ذات طول وعرض . وكان يقف وراءها رجلان . وقالت :

– عوافى عليكم ..

ورد عليها بعضنا . فعادت تقول :

– أنا أم عطية

– بتاعة القول ؟ ..

بتاعة اللوز يا حضرة .. وبعدين أنا مش بتاعة حاجة .. أنا معلمة قد الدنيا وعندى أربعة مطاعم ويعمل عندى خمسون رجلا .. وأنا كنده بالصلاة على النبى جايبالكم الفطور ..

جايبلكم قول . اللى عاوز بالزيت يأخد واللى عاوز بالسمن عندنا خير كثير . واحنا مش أقل وطنية من الموجوشى والراعى والحمصانى . جايبالكم قول وطعمية وعيش توكل مصر كلها ..

وقال الأمباشى :

– واحنا كمان يا ست ؟ ..

لأ .. أنتم لأ .. أنتم بتخدموا الانجليز . وأنتم تضربون أولادنا بالنبوم وتحبوهم السجن ..

– والله ما احنا يا ست أم عطية .. دول بلوك الغفر .. احنا عساكر مساكين . بيجيبولنا أولادنا دول ويقولوا : خليهم عندكم .. هل نستطيع أن نرفض ؟ .. دا احنا غلابة يا ست . ولو سمحوا لنا كنا نفرغ رصاص بنادقنا دى ف الانجليز .

– كلام فارغ .. والوطنى لا يستطيع أحد أن يجعله غير وطنى .. هم يأمرونكم وأنتم تنفذون . وبدونكم ما كانوا يستطيعوا شيئا .. أنا أقول بناعى شريف وما يروحش اللى يضربوا أولاد مصر ..

فأراد الامباشى أن يظهر بسالته وقال :

– بق شوف يا ست أم عطية .. أنا ما حدش يكلمنى باللغة دى . وأنا راح أخلى العساكر يطلعوكى برة ..

– وقال الكونستابل :

– لأ يا أومباشى .. ما عندكش حق .. وأنت لست رئيسا هنا . الست عندها حق . لكنها لا تعرف أننا جميعا عبيد المأمور .. نحن يا ست أم عطية موظفون ننفذ الأوامر غصبا عنا .

ونظرت إليه الست طويلا ثم قالت :

– أنت إنجليزى يا جدع أنت ؟

– لا ياستى أنا مش انجليزى أنا من مانطة . بلد مسكين زى بلدكم . وأنا مولود هنا وأعمل كونستابلا ..

ثم وقف فجأة وقفة عسكرية . وكذلك وقف الأمباشية والشاويشية ونظروا فى اتجاه رجل إنجليزى برقبة ضابط أقل يسير ف خطوات عسكرية حتى وقف أمام الكونستابل حلوف وقال بالإنجليزية :

– كيف الحال يا كونستابل هاروف

وقالت أم عطية :

– أهو ده انجليزى ابن انجليزى وباين عليه .

والتفت نحوها الضابط الإنجليزى وقال : من هذه ؟ ! .

وما هذه الغرابة والقدرة التى أراها ؟ ..

فقال هاروف :

– هذه سيدة عظيمة تملك خمسة مطاعم . إنها أم عطية وقد أتت لهؤلاء التلاميذ بإفطارهم .

– هذا ممنوع . وهؤلاء سجناء . ولا يمكن أن يدخل لهم أكل إلا بإذن الحكومة . ألا تعرف ذلك يا كونستابل ؟ ! .

– أعرف يا ميجر ديكسون .. ولكن لا المحافظة ولا الحكومة سألت عن هؤلاء الأولاد من الصباح .. هل نتركهم يموتون جوعا ؟ ..

– لماذا لم تتصل بالمحافظ ؟ ..

– المحافظ لا دخل له بذلك ..

– والحكمدار ؟ ..

– نقصد الأمير الاى سلم زكى . لا نعرف أين هو .. من الصباح نبحث عنه دون أن نعثر له على أثر .

– لقد كان عندى من ساعة ..

– هذا هو كل عمله .. أن يكون على بابك .. أما هؤلاء المساكين فلا يسأل عنهم أحد . وحضرتك تعرف السيريمونى لورين المندوب السامى مسافر ف قبرص مع الليدى ستانيوب .

– هذه أسرار لا ينبغى أن تقال ف الطريق .

– هذا منشور ف الإجبشان جازيت يا حضرة الميجر .. والمستر سمارت الذى يحكم مصر موجود ف أسوان يلعب الشطرنج مع الملك .

وقالت أم عطية :

– بيرطوا ويقولوا إيه ؟ ..

فترجمت لها ما قال هاروف على قدر ما استطعت . فقالت :

– دول بسلامتهم اللى حاكمين البلد ؟ أمال فين اسم الله عليه النحاس باشا ؟ ..

فقال مصطفى كامل :

– ف الأقصر يا حاجة .. مادام الملك ف أسوان يبقى النحاس ف الأقصر . والمندوب السامى ف قبرص .

– والشعب ف التخشيبة وباب الخلق .

وقال الميجر ديكسون :

– أريد أن نبعدوا هذه السيدة من هنا ..

ونقلت لها ما قال فقالت :

– شوف اسمع يا خواجة أنت .. أنا مقرونة منك ومن أسيادك .. وأنا واقفة على باب المحافظة فى ميدان باب الخلق والميدان ده بتاعنا وأنا أقول لك أبعد عنى وحياة دينى وإلا أطربق برنيطتك دى على دماغك ..

وترجموا له ما قالت فحقدها بالطبع . وقال له هاروف :

– ميجر ديكسون .. أظن أن الأحسن لك أن تنصرف . فإن الحالة طيبة والأمن مستتب والأولاد هادئون ..

ففكر ديكسون قليلا ثم قال :

– إذن أدعك أنت وأنت مسئول ..

– وعندما استدار ليذهب ناداه هاروف وقال :

– أقول إنك لو أفطرت معنا كان لذلك وقع طيب جدا .. هؤلاء الناس طيبون . وهذا أحسن قول فى البلد .. ما رأيك فى أن تصعد إلى مكتبك وتأتيك بإفطارك وتكتب فى التقرير أنك حضورك هنا ومشاركتك الأولاد فى الإفطار هدأت الحالة

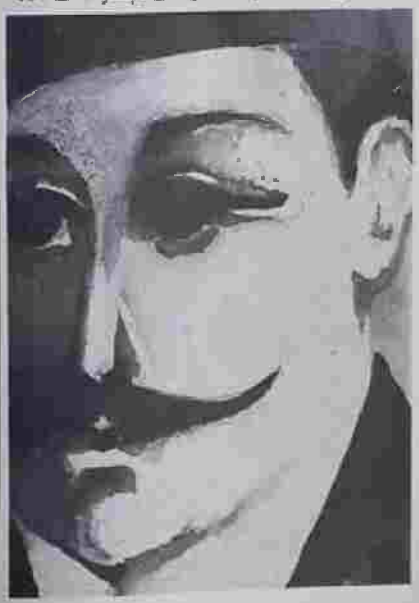

بعد أن كانت خطرة . أنا متأكد أن المستر سمارت سيسر من ذلك جدا .

فحك رأسه بعصا ثم قال :

– عندك حق . . ثم إني متعب . لقد طفت بأقسام القاهرة كلها .

– وكيف الحال .

– كل تلاميذ المدارس الثانوية في السجون اليوم .

وصعد إلى غرفته وخلفه حرسه .

وقالت أم عطية :

– تلاقه باقة العظيم ما يذوق هذا القول .

– شوف يا أم عطية . نحن نريد الإفراج عن هؤلاء التلاميذ . والآن وهو في غرفته . وعندما يذوق لوزك سيتصل بالحكمدار ويأمر باشا وسيحصل على الإفراج بدون تحقيق أو ضمانات .

– يفرج عنهم الأول .

وقبل أن تفرغ من كلامها دق جرس التليفون في غرفة معاون المحافظة وجاءت البشرى . لقد رضيت نفس المجرم دبكسون وأصدر أمره بالإفراج بعد الإفطار .

وقال مصطفى كامل :

– أنا لا يفرج عني ميجر إنجليزي . وإذا أكل هو من ذلك القول فلن آكل أنا منه .

وقالت أم عطية :

– اسمع يا جدع أنت . أنت مابين عليك ابن بشوات . ومشوخ . خلينا نوكل الأولاد وخليهم يذهبوا إلى بيوتهم . لقد خلكوا يا عيني .

وكان فناء المحافظة قد هاص وماج . ودخل رجال العلمة بأطباق القول والخبز . وجعلوا يأكلون . ومضى بعضهم يغني .

**وفي** أثناء ذلك وقفت سيارة الباشا المحافظ . ونزل منها بقامته القصيرة وطربوشه الأحمر الداكن .

سعادته ظل صامتا طوال اليوم حتى أصدر ميجر الجليزي أمره بالإفراج فألى لكي يبلغنا الخبر كأنه هو الذي حصل على الإفراج . . وقال مخاطب الكونستابل هاروف :

– والله لقد اتصلت بجلالة الملك شخصيا . وتفضل جلالته وتعطف وأصدر أمره السامي .

فقالت أم عطية :

– يا سعادة المحافظ ولا مؤاخذة . الكلام ده قديم واحنا عرفناه . والي جاب الإفراج هو اللوز بتاعي . بسلامته الحراجة اللي كان حنا يادوبك شم رحية اللوز وقال : الحقوق يطق وافرجوا عن الأولاد . تسمح تطلع لي أودنك وبعت لك طبق لوز محترم وشوية طعمية سخنين عمرك مادقت زيهم . . يا الله يا سعادة الباشا يا الله وخليها على الله . .

وصعد المحافظ إلى غرفته . وبدأ الأولاد يخرجون وهم يهتفون :

– تحيا أم عطية . يعيش لوز أم عطية !

وتناول مصطفى كامل وأكل طبقا من القول . ووقف يصلح هيئته قبل أن ينفذ أمر الإفراج . أصلح بذلته وصديريه ورباط رقبته . وأحكم عوج طربوشه . وتأكد من حسن وضع نظارته . حتى أصبح كأنه « مايكان » موضوع في فاترينة محل ملابس . فاقتربت منه وقلت :

– أين تسكن يا أخ .

– في المطرية .

– إنك متعب الآن . ومسافتك طويلة . ربنى هنا على

خطوات . فلماذا لا تأتي وتنام عندي حتى ترتاح . وبعد الظهر تذهب إلى بيتك . أنك تريد أن تطمئن أهلك على سلامتك .

– أهل لا يريدون رؤيتي . أي غاضب على لأني جاهد في سبيل الوطن . بدل أن أصبح زعيما يريد أن أكون كاتبا في مصلحة البريد مثله .

وكان معظم الطلبة قد خرجوا يهتفون . وكان مجاهد مسكا بقراعي ويقول :

– يا الله يا حسين . نريد أن نفطر في البيت .

– تفطر ؟ . ألم يكفك ما أكلت ؟ . لقد أفطرت قولا من لحظات .

– أصل بنا تعد في كل يوم لنا وقشدة . وعسلا أبيض إلى جانب القول . ولابد أن أذهب إلى البيت لأفطر . تعال .

– تأتي معنا يا أخ .

– بس أنا لا أستطيع الإثقال عليكم . حقا إني لا أدري إلى أين أذهب . حتى أجرة المقهى لا أملكها . كنت أريد أن أجلس في كازينو البوسفور أمام المحطة لأعرف الأخبار قبل أن أركب قطار المطرية . عندي اشتراك .

– تعال معنا . سنخرج بإذن الله .

وسرنا نحن الثلاثة نحو بيت مجاهد في درب سعادة .

وخلا فناء المحافظة من الطلاب . واستقبلنا الناس في ميدان باب الخلق استقبال الأبطال . أقبل عشرات الباعة يقدمون بضائعهم على عربات . وأحاطوا بالميدان وجعلوا يصيحون :

– كله مجانا علشان الطلبة . خبز رخيص وخبز وطعمية وبصل ولوم وقوالب وكيزان ومناديل . . كل شيء مجانا للطلبة في سبيل مصر .

ومن الباب الخلفي للمحافظة خرج الشاويشة الذين انتبت نوبتهم في يد كل واحد منهم بقجة أو لفة فيها خبز وفطير وكباب وقول . . رزق العيال . وقال أحد الأمناشة . .

– ربنا يجعل المظاهرات كلها خير وبركة .

وفي فناء المحافظة وقف الكونستابل هاروف بعد دوتوسيكله هو الآخر ووضع خلفه صندوقا مليئا بالأطعمة . رزق العيال كله من المظاهرات . تحيا مصر ! .

**ووصلنا** بيت مجاهد . استقبلنا الست نفيسة خانم استقبالا جميلا . قبلت ابنها وقبلتني وقبلت مصطفى كامل . كان عجلا بعض الشيء . ولكن عجلته لم يفت أن زايلته عندما أحس بهذا الحب كله .

وجلسنا إلى طبلية واسعة عليها أباريق شاي ولبن . وخبز وقراقيش وبسكويت وأطباق بنور فيها عسل أبيض وقشدة وجبن وزيتون . .

ودون أن نفكر جلسنا نشرب ونأكل . إن الشاي الساخن جميل . واللبن أجمل .

وبينما نحن نأكل وقف مصطفى كامل واستعد للخطابة وسط دهشة نفيسة خانم والخدم :

– أيها المواطنون . يا أبناء مصر ! لقد سجنوكم وعذبوكم وضربوكم وجلدوكم . ولكن ذلك كله يهون في سبيل مصر . . لقد قضيتم ليلتكم في زنزانات ضيقة . . ومال على مجاهد وقال :

– بيتكلم عن مين . . ؟ بيكلم مين ؟ . . ومين فهمه اللي اتسجنوا في الزنزلة ٣٠ . واللي انضربوا بالكرابيج ؟ . .

وقلت :

– شوف يا مجاهد يا خويا . . كل واحد في الدنيا له حرفة وعمل . أبوك يصنع الخبز وأنا أفاكر وأنت تأكل وتنام وهذا ذلك هي حرفته . زعيم . شغلته أن يلبس زعيما ويتكلم كزعيم ويخطب كزعيم . . سواء انضربنا أو لم نتضرب . . تعذبنا أو لم نتعذب . فهو لابد أن يخطب ويقول ذلك . لو لم يخطب هنا فخطب في كازينو البوسفور . في هذه الحالة كانوا سيأخذونه إلى سجن الأزبكية . وهناك يواصل عملية جهاده . سيأكل كما أكلنا الليلة . وينام كما ننام الليلة . ولكنه سيظل كما هو . . زعيما من زرطربوشه إلى جزمة حذائه . .

ولم يسمعني مجاهد . كان غارقا في القشدة والعسل .

● ● ●

وكنت أعرف ما سيحدث .

هذا الزعيم لن يعود إلى منزله لأنه زعيم زائف وأبوه لا يريد زعماء زائفين . إنه يريد أبنا يقع في الحياة . .

سيذهب إلى كازينو البوسفور ليلتقي بالزعماء أمثاله . وفي المساء سيذهب إلى جريدة الوفد وحدثهم عن التعذيب الذي تحمله مع الطلاب والضرب الذي تلقاه .

وستنشر الجريدة الخبر . ولكنها لن تقول إن الذي أبلغها أخلصا مصطفى كامل ومحمد فريد . إنما فلان الفلاني رئيس الشعبة الوفدية . وابنه عذب وضرب لأنه وفدي . والوفد وحده هو حزب الأمة ولا حزب غيره .

أما الشعب الذي سهر الليل ليرعى أبناءه وضحى بكل ما عنده لكي يحرس أولئك الأبناء ويسعدهم . فلن يذكره أحد بكلمة .

دائما سيذكرون أن النحاس باشا اهتم بالأمر . وأخذ أول قطار إلى القاهرة لعقد اجتماع الحزب لدراسة الموقف والعمل على إطلاق سراح . المعتقلين المعذبين .

**والذي** سيحدث كذلك أن النحاس باشا لن يغادر أسوان أو شمس أسوان . سينتظر هناك لعل المستر سمارت يأتي الأقصر إلى أسوان ليكمل عشرة الطاولة هناك . وكلها لعبة سياسية . .

## البقية في العدد القادم